

# حين ينفطر قلب الأمير السعودي

تفاوتت ردود الفعل الرسمية في بلدان مجلس التعاون الخليجي بعد التوقيع على الاتفاق النووي الإيراني في فيينا قبل أيام. فبينما سارعت سلطنة عمان والكويت للترحيب بالاتفاق الأخير، تأخر بعض الوقت الترحيب المتحفظ من كل من البحرين والإمارات وقطر. أما السعودية فقد أعلنت عبر وكالة أنبائها الرسمية عن امتناعها، مؤكدة أنها «تشارك دول 1+5 والمجتمع الدولي باستمرار العقوبات المفروضة على إيران بسبب دعمها الإرهاب وانتهاكها للاتفاقيات والمعاهدات الدولية المتعلقة بالتسليح»..

التفاوت بين الترحيب والتحفظ والامتناع قد يعني بداية شرخ جدي وعلمي في الموقف الخليجي تجاه إيران. ففيما تجد سلطنة عمان والكويت (ودبي والشارقة) في الاتفاق بداية انتعاش اقتصادي تستفيد منه، تجد السعودية أن الاتفاق قد يعطي إيران قدرات إضافية لتحسين مواقعها في الخليج وخارجه. إلا أن السعودية تعي أنها لا تملك منفردة، أو ضمن مجموعة مجلس التعاون، خيارات جديدة لمنع تنفيذ الاتفاق بعد إعلانه. فحتى فرنسا التي عولت السعودية عليها للتأثير في مسار الاتفاق أو تعطيله، وجدت نفسها تسير في الاتجاه الذي رسمته المفاوضات بين الطرفين الإيراني والأميريكي. ليس لدى حكام الخليج المتعصبين أو المتحفظين على الاتفاق من أوراق تعينهم على إقناع الموقعين وبقية المجتمع الدولي بضرورة الغائه أو حتى تعديله بغرض فرض التزامات جديدة على أطرافه. إلا أن هذا لم يمنح المسؤولين السعوديين (والبحريين والقطريين والأمانة العامة لمجلس التعاون) من التعبير عن خشيتهم من ألا يلتزم الرئيس الأميركي بالتطمينات التي قدمها لهم في قمة كامب ديفيد في أيار/ مايو الماضي بأن لا يكون اتفاقه مع إيران على حساب أمنهم واستقرار بلدانهم. ولتحقيق ذلك، طلب الخليجيون في كامب ديفيد أن يتنصن الاتفاق مع إيران بجانب «التحقق بشكل صارم من إيقاف جمودها لحياة قنبلة نووية...» أن يؤكد على «وقف أنشطة إيران المزعزعة للاستقرار في المنطقة...».

ينفطر القلب حين يخذلك حليفك الأقدم والأقوى.

أكثر التصريحات تعبيراً عن إحساس كبار العائلة الحاكمة في السعودية بما تعرضوا له من خذلان على يد حليفهم الإستراتيجي لأكثر من سبعة عقود، هو المقال الذي كتبه بندر بن سلطان الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات السعودية، وسفير الرياض السابق في واشنطن، باللغة الإنكليزية وفي صياغة تخاطب القارئ الأمريكي. بمرارة واضحة، يقطط بندر ما قاله وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسينجر: «على أعداء أميركا أن يخشوا أميركا، لكن على أصدقائها أن يخشوها أكثر». وفي نهاية مقاله يشير بندر إلى أنهم، أي آل سعود، بعد التوصل على الله، سيغمدون أيضاً «على تعزيز قدراتهم وتحليلهم للوضع بالتعاون مع الجميع فيما عدا حليفنا الأقدم والأقوى. ينفطر قلبي لقول ذلك، إلا أن الحقائق مرّة ولا يمكن تجاهلها». ويبدو بندر بن سلطان في مقاله بصراحة أوضح عن مشاعر كبار العائلة الحاكمة تجاه «الحليف الأقدم والأقوى» الذي خذلهم مرتين. أولها حين لم يقلل أن يكونوا طرفاً في مفاوضات مع إيران. وثانيها حين قبل حصر إطار تلك المفاوضات في الموضوع النووي. يتوعد بندر بن سلطان، وهو منظر القلب، بأن بلاده ستعاون منذ الآن مع الجميع عدا الولايات المتحدة دفاعاً عن المصالح السعودية. ولكن الأمير يعرف أن وعده لا معنى، وهو غير ممكن وغير مسموح به، فسارع وزير الخارجية السعودي عادل الجبير، بعد نشر المقال، إلى لقاء نظيره الأمريكي لتأكيد «ثبات العلاقات بين الجانبين ومابها التاريخي والعمل لتعميق تعاونهما الأمني والإستراتيجي».

الصبي الغاضب

تتصرف السعودية منذ إعلان الاتفاق النووي مثل

## الرشوة في الدار البيضاء

# مصادر التشريع الثلاثة: الإلهي والوضعي و.. الوضيع!

فتح مسؤول «السانديك» (جمعية سكان البناية) باب العمارة واتجه لبيدرته، التفت فرأى فتحة في الجدار خلفه، توجه للمال وسأله عن سبب تغيير التصميم فرد بأنه عامل ولا يعرف. في مساء الأحد صارت الفتحة باب دكان مصبوغاً بالأحمر. تجري هذه التغييرات من هدم وفتح ليلاً ويوميو السبب والأحد، ليقول موظف السلطة إنه كان في عطلة.

توجه الرجل إلى صاحب المحل الجديد فرد بأنه أوجد باباً خلفاً ليصير له دكاكين، وهذا لن يضر أحداً، فقال له إن سكان العمارة سيحتجون على ذلك. ايتمم صاحب الدكان ورد بأن السكان موافقون. سال «السانديك» شبهه بنفقا الواصفة. وقد وقعوا عريضة تقول: «قام مالك دكان في العمارة بفتح باب خلفي لكانته الذي يتوفر على باب كبير على الشارع. وبذلك خرق قانون نظام الملكية المشتركة المحدد لحقوق والتزامات الشركاء في العمارة. لقد قام المعني بالامر بتغيير التصميم وخلق سابقة يمكن تقليدها. وهذا مضر ومزعج للسكان وسيؤدي إلى تراكم السلع في الأبواب، ويحرم الأطفال من فضاء صغير آمن للعب. لذلك نمتزح نحن الموقعين لنبهه على خرق قانون الملكية ونطالب بإرجاع الأمر إلى ما كان عليه».

أوصل «السانديك» نسخا من العريضة إلى مكتب باشا المنطقة (وهو موظف مسؤول عن دوائر كبيرة عدا وتقع مرتبته دون الوالي والمعلم فوزير الداخلية) فوعده خيرا. بعد أسبوع، علق صاحب الدكان لافتة. سيكون جيدا أن يفحص والي الدار البيضاء كمية شكوى المنكر العقاري التي يتلقاها موظفوه.

غير «السانديك» وجهته، رفع دعوى مدنية مستعجلة ضد صاحب الدكان. لكن هذا مفيد للنصم الذي يريد أن تحكم المحكمة ضده بدفع غرامة مع إبقاء التغيير الذي أجراه. أي أن يقلل ما يريد ويدفع المال ليشترن فعلته ويبتل «ثبات العلاقات بين الجانبين والسياسي». مكتب الباشا ليطلب تطبيق القانون. وأضاف أن «القانون عادل ونطالب بتطبيقه. ومن عارض ذلك فهو يشترن قانونا على مقاسه، خطر أن يشترن كل فرد لحسابه الخاص».

في دروب الإدارات التقى «السانديك» زملاء لهم لشكاوى

صبي غاضب لأنه لم يحصل على العبيدية التي كان يتمناها. ولهذا تتوالى التصريحات الرسمية المتوترة وغير العقلانية، التي ترددد أصدؤها في «التحليلات الإستراتيجية»، وفيما تنشره الصحف وتبثه الإذاعات والقنوات الفضائية التابعة لها. بعض هذه التصريحات اعتبر أن الاتفاق النووي سيجعل المنطقة «أكثر خطورة» بسبب الموارد المالية التي ستحصل عليها إيران والتي ستمكنها من «إشاعة الفوضى في المنطقة». تتكرر مثل هذه الأقوال في بقية بلدان الخليج ساعية لصياغة رد سعودي (وخليجي) يتضمن إشغال النظام الإيراني واستنزافه عن طريق دعم قوى المعارضة الإيرانية، فيما تلك السلطة، وتحريك موضوع الأقليات العربية والبلوشية والأثرية في إيران. لم تتبلورخطوات جديدة في هذا المجال، فيما عدا توفير دعم مالي سعودي وإماراتي للقات إعلامية ومؤتمرات عقدتها بعض أطراف المعارضة الإيرانية وممثلين للأقليات. إلا أن هذا لا يعني أن الطاقم الحاكم في السعودية لن يبخس قدماً في أنشطة يرى انها يمكن أن تستنزف النظام الإيراني.

الخيار النووي السعودي

منذ عشر سنوات على الأقل، تتكرر التصريحات الرسمية السعودية والتسريبات الإعلامية بخصوص تفعيل خيارها النووي. وبرغم أن السعودية لا تملك القدرات البشرية والتقنية اللازمة لتحقيق ذلك، إلا أن النية تستند إلى مذكره تفاهم عقدتها مع الولايات المتحدة في 2008 لبناء برنامج نووي كجزء من البرنامج الأمريكي «النذرة من أجل السلام» (وهو البرنامج نفسه

## 15 |

«الفانتمازيا»، مقاربة أنثروبولوجية لتراث ما زال حيا في المغرب العربي. وفي اليمن، تضرر مليوني عامل مياوم من الحرب، مبادرة «الفقراء الجدد» للتضامن معهم. وفي «فكرة»، صدر «يرى» من تحت العباءة: تحرّش.

أهوار العراق جرى اغتيالها على دفعات، ولم يتم إنقاذها على الرغم من الإعلانات، بينما هي أساسية في المنظومة الإيكولوجية للكرة الأرضية: جريمة كبرى! والسكن في تونس: أزمة الرهن العقاري، وتكاثر العشوائيات.

لا يحتاج هذان التخلّان وأمثالهما إلى وقفة مطوّلة. فالاتفاقيات الدولية والقيود الإستراتيجية التي تمنع انتشار السلاح النووي تحُول دون حصول السعودية عليه من باكستان أو شراؤها من غربها. علاوة على ذلك، فباكستان لن تستطيع تلبية الطلب السعودي للأسباب الداخلية نفسها التي منعتها من إرسال جنودها للمشاركة في الغامرة السعودية في حرب اليمن. على أية حال، لا يستبعد أن يصدق القادة السعوديون أن ثمة سوفاً سوداء للسلاح النووي يستطيعون أن يشتروا منها ما يريدون من قنابل نووية، ولا يستبعد أن يصدقوا أنهم قادرون، وقت ما أرادوا، على استيراد الكوادر العلمية والتقنية التي تنتظر الإشارة كي تتوافد إلى السعودية لتكوين وتشغيل المفاعلات النووية. ألم يخطط قادة

السعودية لحرب اليمن على أساس أنهم سيستدعون الجيوشين المصري والباكستاني للقيام بالزحف على البلدان لعمليات التحديث على استسهال شراء المعدات

صنعا؟

منذ الطفوة النفطية في منتصف سبعينيات القرن الماضي، سادت في بلدان المنطقة عقلية «الشاريع الجاهزة»، التي تعتمد على استيراد الاحتياجات بدلاً من تنمية القدرات الذاتية لتوفير تلك الاحتياجات. فبرغم القدرات المالية والسياسية التي وفرتها لها الطفرة النفطية، لم تعمل العوائل الحاكمة في الخليج على توسيع القاعدة المادية والبشرية لاقتصاد بلدانها وتعديد مصادر دخلها. وبشكل عام اعتمدت الحكا السائد في هذه البلدان لعمليات التحديث على استسهال شراء المعدات

صنعا؟

منذ الطفوة النفطية في منتصف سبعينيات القرن الماضي، سادت في بلدان المنطقة عقلية «الشاريع الجاهزة»، التي تعتمد على استيراد الاحتياجات بدلاً من تنمية القدرات الذاتية لتوفير تلك الاحتياجات. فبرغم القدرات المالية والسياسية التي وفرتها لها الطفرة النفطية، لم تعمل العوائل الحاكمة في الخليج على توسيع القاعدة المادية والبشرية لاقتصاد بلدانها وتعديد مصادر دخلها. وبشكل عام اعتمدت الحكا السائد في هذه البلدان لعمليات التحديث على استسهال شراء المعدات

صنعا؟

منذ الطفوة النفطية في منتصف سبعينيات القرن الماضي، سادت في بلدان المنطقة عقلية «الشاريع الجاهزة»، التي تعتمد على استيراد الاحتياجات بدلاً من تنمية القدرات الذاتية لتوفير تلك الاحتياجات. فبرغم القدرات المالية والسياسية التي وفرتها لها الطفرة النفطية، لم تعمل العوائل الحاكمة في الخليج على توسيع القاعدة المادية والبشرية لاقتصاد بلدانها وتعديد مصادر دخلها. وبشكل عام اعتمدت الحكا السائد في هذه البلدان لعمليات التحديث على استسهال شراء المعدات

صنعا؟

منذ الطفوة النفطية في منتصف سبعينيات القرن الماضي، سادت في بلدان المنطقة عقلية «الشاريع الجاهزة»، التي تعتمد على استيراد الاحتياجات بدلاً من تنمية القدرات الذاتية لتوفير تلك الاحتياجات. فبرغم القدرات المالية والسياسية التي وفرتها لها الطفرة النفطية، لم تعمل العوائل الحاكمة في الخليج على توسيع القاعدة المادية والبشرية لاقتصاد بلدانها وتعديد مصادر دخلها. وبشكل عام اعتمدت الحكا السائد في هذه البلدان لعمليات التحديث على استسهال شراء المعدات

أهوار العراق جرى اغتيالها على دفعات، ولم يتم إنقاذها على الرغم من الإعلانات، بينما هي أساسية في المنظومة الإيكولوجية للكرة الأرضية: جريمة كبرى! والسكن في تونس: أزمة الرهن العقاري، وتكاثر العشوائيات.

حصيللة «الحرب العالمية على الإزهاب»: 1.3 مليون قتيل مدني! تقرير لصحيفة الأومانيته الفرنسية يستند الى دراسة لـ«جمعية الأطباء الدولية لمنع السلاح النووي» الحائزة على جائزة نوبل للسلام..

والتقنيات واستيراد العنصر البشري اللازم لتشغيلها. فإن احتاجت البلاد إلى محطة تحلية مياه، يتم شراؤها من الشركة التي تصنّفها والتعاقد معها لتشغيلها وصيانتها وتوفير قطع الغيار اللازم لإدامتها. ولا ينحصر الأمر في «التقنيات المعقدة، بل يمكن ملاحظته في مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأمنية في هذه البلدان. حيث توفر «بيوت الخبرة الغربية» المعدات والعنصر البشري اللازم لإدارتها. وما زالت مكاتب الاستشارات الغربية، مع شريكها الإسمي الذي ينتمي في الغالب إلى العائلة الحاكمة، هي القناة المفضلة لتقديم المشورة حول بناء مصنع تكرير أو إدارة متحف. لا يمكن تفسير هذه السلوكيات ببقاء هذا الأمير أو «عقدة الأجنبي» عند ذاك الملك، بل لخشية العوائل الحاكمة من العواقب السياسية والاجتماعية لتوطيل المعرفة التقنية وتمكين المواطنين عبرها.

ازداد عدد الجامعات في بلدان مجلس التعاون، وازدادت أعداد متخرجيها والمسجلين فيها كما ازدادت أعداد المتفئين إلى مختلف الجامعات الأجنبية. وفي الفترة نفسها ازداد الاعتماد على المستشارين الغربيين في مراكز صنع القرار في بلدان الخليج. ولا تنحصر أسباب هذه المفارقة في القرار السياسي، وفي رغبة العوائل الحاكمة في عدم تمكين مواطنيها بتفضيل الأكاديميين الغربيين واستثناء الكفاءات من أصول عربية. وتشير استنتاجات عدد من الدراسات إلى دور الفساد في تحويل التفئين في المناصب العليا، بما فيها الأكاديمية في الجامعات المحلية إلى أدوات لضمان الولاء لسلطة العائلة الحاكمة. بالإضافة لذلك، أدى الخوف من الرقابة ومن بطش الأجهزة الأمنية، إلى هجرة الأدمغة وخفض نوعية وكفاءة التعليم الجامعي وتقليص دوره التنموي. وبعد أكثر من أربعة عقود من هدر الطاقات، لن يكون سملاً تعويضي الفرض التي خسرتها بلدان الخليج من دون تغييرات جذرية في الأنظمة السياسية.

عقلنة القرار السعودي/ الخليجي

بدلًا من البحث في الأسواق عن قنبلة ذرية للبيع، تحتاج العوائل الحاكمة في الخليج العربي، وفي مقدمها السعودية، إلى إعادة حساباتها الإقليمية التي اعتمدتها منذ سقوط الشاه في 1979. وتحتاج على الأخص إلى الاقتناع بأن نهاية نظام الملالي في إيران ستتحقق عبر حرب تشنها الولايات المتحدة الأمريكية على رأس تحالف يشارك فيه حكام الخليج، كما حصل مع 2003 في العراق. وتحتاج العوائل الحاكمة قبل ذلك إلى أن تتعامل مع الواقع الإقليمي بحكمة وبعد نظر يتعدى المصالح الآنية للأجنحة المتنافسة في كل عائلة منها. ومن أبرز معطيات الواقع الإقليمي أن إيران قوة إقليمية، وأن وجودها هو حقيقة من حقائق التاريخ والجغرافيا التي لا يمكن تجاهلها اعتماداً على ما تقرره المصالح المتقلبة للحقاء الغربيين.

يوسع السعودية، بمساعدة الكويت وسلطنة عُمان، وربما الولايات المتحدة نفسها، أن تستفيد من الفرصة التي يتيحها الاتفاق النووي لبء تواصل جدي مع القيادة الإيرانية يقود إلى صفحة جديدة بدلاً من التهديد باستمرار الاستنزاف المتبادل للطاقات والموارد في سباقات التسليح العنيفة، وفي تأجيج النزاعات الطائفية والحروب الأهلية. إلا أن الاستفادة من هذه الفرصة تتطلب مستوى من الحكمة يفوق ما أبدته حتى الآن قيادة المملكة السعودية، وخاصة خلال الأشهر الأخيرة.

عبد الهادي خلف

أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة لوند - السويد، من البحرين

## العنف، مفردٌ وجماعي

# العنف، مفردٌ وجماعي

# العنف، مفردٌ وجماعي

ليس الأمر الغريب هو طعن شاب حتى الموت لخلف على المرور، كما حدث في بيروت الأسبوع الفائت. هذا وقع في كثير من الأمكنة، ويتكرر. في الحادثة نفسها، كان «المثير» أن الجاني والضحية «ترافقا» كراً وفرّاً في شوارع العاصمة لسافة طويلة، وأيضاً أن هناك فيديو سجّل تفاصيل القتل. أما الأفتع فردة الفعل العامة الأولى: التحري بسرعة عن مذاهب الطاعن والطعون، للانتقال إلى التعليقات التي تحيط بكل حادثة في المنطقة (وليس في لبنان وحده): الجرم من مذهب يشعر بالغلبة، الضحية من جماعة مغلوبة، والعكس ما كان ليحدث.. ثم الاستدلال «السياسي» بالتدخل على خطورة سطوة تنظيم بعينه لأن طائفة القاتل تتطابق معه.

قد يكون ذلك هو التأويل البديهي بسبب الشحن القائم، أو كاستطلاع لمؤديات مشاعر «التمكن». ولكن هناك حوادث طعن مميت أخرى لأسباب تافهة تماماً (اشتجرت في السنوات الأخيرة حوادث وقعت في الكويت أو في جدة...)، بينما تقول صفحة متفرقات في الصحف أن حوادث الطعن مع الإصرار تقع بشكل يومي في مجمل المنطقة من دون تخصيص أو أفضلية لمكان على آخر، ومن دون أن تثير ضجيجاً كبيراً.

نحلة الشهاب



# قضية

# «الفانطازيا»: تراث الأمجاد من زمن الأجداد



من صفحة كريم كرو - Karimkays (Wideangle)

من أبرز الممارسات التراثية في الجزائر وأكثرها روعة وجمالاً وأدعاهاً للأنامل والبحج، ذلك الطقس الاحتفالي المسمى الفانطازيا Fantasia (هكذا يلفظ في بلدان الغرب، بالطاء وليس بالتاء)، ويسمى أيضاً لعب الخيل ولعب البارود. وهو يستند أهميته مما يحمل من طقوس احتفالية مهيبه واستعراضات فنية جميلة ودلالات رمزية عميقة، بحيث يشكل تراثاً ثقافياً مميزاً وتقليداً شعبياً محبوباً، يلتف حوله الناس شيوخاً وشباباً ممارسين متحمسين أو متفرجين مستمتعين، متحممين حول فرق الفرسان المؤشاة بالآلوان الزاهية والألبسة البراقة والبنادق الالامه، سواء أكان ذلك في التجمعات الدينية أو التظاهرات الرسمية أو الاحتفالات الشعبية، في ظل أجواء من الفرحه والنشوة، وفي إطار من الفخر والمباهاة.

بالإضافة إلى ذلك فقد ارتبطت الفانطازيا في الخيال الشعبي بقيم الفروسية والرجولة والشجامة والشجاعة، ومثلت عبر التاريخ تلك العلاقة الراقية بين الإنسان والحصان، وشكلت نظاماً اجتماعياً فريداً ينبؤا فيه الفارس قمة العرم الاجتماعي ويضطلع بدور الدفاع عن شرف القبيلة وحماها.

تعتبر الفانطازيا نموذجاً للاحتفالات الجماعية الكبيرة، ونوعا من الترفيه الجماعي الذي عرفه الإنسان منذ القدم. تميزت به منطقة الغرب العربي من دون سواها، وهو يرتبط بجملة من المناسبات المحلية سواء أكانت مناسبات اجتماعية (زواج، ختان...) أو دينية (زردة، موالد...) أو وطنية (أعياد الثورة، الاستقلال...) بل وحتى «مناسباتية» (زيارة ورئاسة، وزارية...)، ويكتسي أهميته في إثبات الهوية الحضارية وتأجيج الروح الوطنية وإحياء التقاليد التراثية وتقوية الرابطة المجتمعية ونشر القيم الثقافية من خلال تجميعه لأكبر عدد ممكن من الأفراد ضمن طقس احتفالي ضخم يمتد لساعات من المرح والمتعة ويبقي حديث الناس لأيام بل لأشهر وسنوات.

وقد شكلت الفانطازيا ولا تزال أحد أبرز الخصوصيات الثقافية لمنطقة شمال أفريقيا بما فيها الجزائر. إلا أنها رغم ذلك لم تحظ بالاهتمام الأكاديمي الكافي، بينما هي موضوع مثير وجدير بالبحث والدراسة والسعي للتعرف على تاريخها ومحاولة الكشف عن أسسها الحضارية وممارساتها الثقافية وتجليها الجمالية ومظاهرها الفنية.

الإثنولوجي الفرنسي «جان بيار ديقار»، يؤكد أنه شارك في تشكيل الفروسية في شمال أفريقيا ثلاثة تيارات فروسية كبرى، وهي النوميديية والعربية والتركية (ونوميديا numide مملكة أمازيغية عاصمتها سيرت، لا يعرف بالتحديد تاريخ تأسيسها لكن يرجح أنه 202 ق.م. وهناك الكثير من المصادر الفرعونية أو اللاتينية التي أشارت إلى وجود ممالك أمازيغية في شمال أفريقيا قبل مملكة نوميديا). والفانطازيا الحالية هي نسخة معدلة لهذه الفروسية، من دون أن ننسى تأثير التقنيات العسكرية الفرنسية.

من المرجح أن يكون العرب قد مارسوا نوعاً من الفانطازيا منذ أن طوروا تقنيات الحرب باستخدام الخيل، وكذلك النوميديون. لأن الفانطازيا في حقيقتها هي نوع من التدريب العسكري للفرسان، بما يسمح لهم بتطوير مهاراتهم القتالية والرفع من قدراتهم الحربية، كما يسمح للقادة باكتشاف امهر الفرسان وأشد الحاربين وأفضل الخيول، وبالتالي التقييم الصحيح لقوة جيوشهم وجاهزيتهم.

هناك العديد من التقاطع بين العرب والبربر، أملتته حياة البدو التي اختارها الشعيان كاسلوب للعيش تكيفاً مع الطبيعة المناخ السائدتين في مناطقهم، والتشابه في المؤسسات الاجتماعية والنظام القبلي السيطر. لذا نجد ابن خلدون ينتبه لهذا التشابه بين الاثنتين فيقول في الفصل السابع والثلاثين من مقدمته الذي خصصه لـ «الحروب ومذاهب الأمم في تربيها»، إن «وصفة الحروب الواقعة بين الخليفة منذ أول وجودهم على نوعين: نوع بالإنح صفوفاً، ونوع بالكر والفر. أما الذي بالإنحف فهو قتال الحجم كلهم على تصافب أجيالهم، اما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب».

والكر والفر تقنية حربية تعتمد على الهجوم المباغت والسريع على العدو في مناطق لا ينتظر منها هجوماً، بطريقة غير منظمة ومصحوبة بالصياح المربع، لإخافته وتكبيده أكبر قدر من الخسائر، ثم الانسحاب السريع ومعاودة الهجوم في أماكن أخرى بالطريقة نفسها حتى إنهالك العدو تماماً.

وهذا النظام الحربي المعتمد على سرعة التحرك، حتمته طبيعة ميدان المعركة وتنوعه الخصوم، حيث كان العرب كما النوميديون يخوضون معاركهم في أراض عارية أو صحراوية لا تتوفر فيها أماكن للاحتماء، ويهاجمون عادة أعداءهم المستوطنين الذين تعوزهم سرعة الحركة ويعتمدون أكثر على الدفاع والاحتماء.

ويبدو أن هناك ثلاثة عوامل أساسية تحالفت بطريقة ما لتكون محصلتها ظهور طريقة الكر والفر لدى العرب والبربر في الوقت نفسه. 1 - الحصان: كان الحصان الذي يركبه العرب والبربر، كما يروي المؤرخون، صغيراً، سريعاً، مرناً وحيوياً، يمكنه التحرك والمناورة وتغيير الاتجاه بسرعة وسهولة.

2- الفارس: بسبب أسلوب عيش البداوة، كان الفارس العربي والبربري خفيفاً خفيفاً متزنًا، يقضي أغلب وقته على ظهر حصانه ويعيش معه في ونام تام.

3 - طبيعة الأرض التي كان الشعيان يعيشان عليها، فهي أرض صحراوية أو شبه صحراوية تخلو من المدن الكبيرة والحصون المنيئة التي تسمح بالتمترس خلفها وإنشاء الدفاعات الثابتة والقوية. لذا كان على الحاربين أن يواجهوا عدوهم وجهاً لوجه مهما كان عدده ومهما كانت عدته.

بفضل التوازن بين الفارس النحيل الخفيف والحصان الصغير

السريع، أصبح من الممكن شن هجوم خاطف وإنخان العدو بأكبر قدر من الخسائر، يتلوه انسحاب سريع وذكي لتجنب انتقامه المباشر، وهكذا دواليك. يتضح جلياً إذاً أن تقنية الكر والفر ظهرت كاستجابة طبيعية لأسلوب حياتهم الذي كان يقوم على الغارات والغارات المضادة. أما الأتراك فحين جاؤوا إلى شمال أفريقيا في القرن السادس عشر، أحضروا معهم لعبة تشبه الفانطازيا إلى حد كبير بحيث يمكن اعتبارها شكلا من أشكال الفانطازيا البدائية، ويطلق عليها اسم «لعبة الجريد» أو «لعبة القصب» أو «لعبة الميدان».

في هذه اللعبة، «يطارد الفرسان بعضهم بسرعة فائقة ويمرومن بعضهم بعضاً برماح خشبية غير حادة»، بحسب Adry Jean-Félicissime الذي قاموسه حول «العاب الطفولة والشباب عند كل الشعوب» (1807) الذي يشير إلى «الجريد»، باعتباره لعبة وتدريباً في الوقت نفسه، يُستخدم لتدريب الشبان على الفروسية، وفي الوقت ذاته لتدريب خيولهم على الحرب. وهو لعبة منتشرة جداً عند الأتراك والمور (السكان المحليون لشمال أفريقيا) وعندهم أخذة الإسبان».

والى الأتراك أيضاً يعود الفضل في إدخال بنادق البارود التي حلت مكان رماح الجريد ما أعطى للفانطازيا روحاً جديدة وطمعاً فريداً، لما حمله البارود من إضافات بصرية وسعمية وشمية ساهمت في زيادة متعتها وانتشار شهرتها حتى أطلق عليها اسم «لعب البارود» للدور المركزي الذي أصبح يلعبه. وهكذا يتضح أن الفانطازيا كانت نتاج تاريخ طويل من التفاعلات الحضارية والثقافية والجمالية والفنية.. بين الإنسان من جهة والحصان من جهة ثانية والطبيعة الحاسنة لهما من جهة ثالثة، وأنها تطورت بفضل مساهمات متنوعة لتيارات فروسية كبرى كانت تمثل في عصرها أحد أفضل طرق التكيف الإنساني مع التحديات الأمنية والحربية والوجودية، كما شكل التنوع البشري والجغرافي والحضاري في المنطقة، من العرب والنوميديين جنوباً إلى الترك شمالاً، رافداً أساسياً للتنوع الكبير في الطقوس والممارسات والأشكال والأنوان التي تميز الفانطازيا، وتمنحها خصوصياتها الحضارية والجمالية والفنية، وتجعل منها ممارسة تستعصي على الزوال والاندثار وتحفل مكانة بارزة في الفضاء الاجتماعي والثقافي والطقوسي لشعوب الشمال الأفريقي، وتشكل تراثاً وطنياً محبوباً ومرغوباً، لما يحمله من قيم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين والجهاد والتاريخ والكفاح ومقاومة المحتلين.

فصل من كتاب «أنثروبولوجيا التراث الشعبي في الجزائر»، وهو الكتاب الأول الذي سيصدر ضمن سلسلة «أنثروبولوجيات»، عن «مركز فاعلون»، الجزائر.

#### مبروك بو طفلقوة

باحث أنثروبولوجي من الجزائر/ رئيس تحرير المجلة العربية

للدراستات الأنثروبولوجية المعاصرة

110 ملايين دولار هي قيمة الأرباح التي حققتها فنادق مكّة خلال شهر رمضان، بعد أن سجلت نسبة إشغال مئة في المئة طوال الشهر وفقاً لبيانات رسمية لهيئة السياحة والآثار السعودية الحكومية. ووصلت أسعار الإقامة لمستويات قياسية، بحيث عوّضت فنادق مكة خلالها الخسائر التي تكبّدها نتيجة نقص معتمري السنة الماضية.

### مواقع / إصدارات



#### مركز الطفل العامل ومجتمعه المحلي

الشهر الماضي (حزيران/يونيو 2015) ثارت ضجة في محافظة الجيزة حول مقالٍ يقوم بتشغيل أطفال تحت السن القانونية، مما اضطره إلى التوقف عن ذلك، وإن كان قد برر نشاطه هذا بالقول بأن أهالي هؤلاء الأطفال يتوسّلون إليه كي يسمح لهم بالعمل في ورش البناء نظراً للظروف المعيشية الصعبة التي يمرون بها. في مثل هذه الظروف، ينشط «مركز الطفل العامل ومجتمعه المحلي» الذي أسّسته منى صادق سعد مع عدد من الناشطين الاجتماعيين العام 1998 في محافظة الجيزة نفسها، بهدف رعاية وتنمية وحماية الأطفال العاملين كامل الوقت. وهي حققت رسالة الدكتوراه خاصتها بعنوان «بدائل تعليمية غير نظامية للأطفال»، ومن هذا المنطلق كان المركز منذ نشأته يجمع بين العمل الميداني والبحث العلمي.

ينشط المركز مع الأطفال العاملين في ورش السيارات، وورش المفروشات، ومحلات الحلالة، كما يعمل مع البنات العاملات في المنازل والمحال التجارية، إضافة إلى نشاطه مع أطفال متسرّبين من المدارس ويعملون في الشارع أو أطفال يجمعون بين التعليم والعمل. وبسبب كون المركز صغيراً، تتركّز الجهود على عدد قليل من الأطفال (50-70) طفلاً، كلّ ثلاث سنوات، يجري العمل أيضاً مع عائلاتهم. وفي حال علم القائمون على المركز أنّ أحد المشغّلين يسيء معاملة الطفل الذي يعمل معه، يتوجّهون إليه ويحاولون ردعه فإن لم يستجب يسعون إلى البحث عن مشغلٍ آخر. داخل المركز تتوزّع النشاطات بين اللعب لتعويض ما يفقده المستفيدون من إحساس بالطفولة جراء عملهم لساعات طويلة، والمسرح (المسمى مسرح القهويين)، والموسيقى من أجل تنمية مهارات الإنصات والمشاركة، والرياضة التي تساعد أيضاً القائمين على المركز على معرفة الدخّنين من بين الأطفال ومحاولة جعلهم يقلعون عن التدخين، وأنشطة الكمبيوتر، والألعاب الحركيّة والتنافسية، إضافة إلى نشاط السجاد الذي يبنى مهارات غزل النسيج، كذلك يقيم المركز أنشطة تعليمية («تعلّم تحرّج» ورحلات أسبوعية.

يتلقى المركز دعماً من مؤسسة Misereor الألمانية الكاثوليكية، وهو يتعاون مع جمعيات مدنية أخرى كمؤسسة التعبير الرقمي العربي («أصّف») التي وقّع معها في شهر أيار 2015 «مشروع التمكين الرقمي للشباب» الذي تقام أنشطته في مقرّ الجمعية، لزيادة معرفة الأطفال بالكمبيوتر والاستفادة منه في أنشطة إبداعية.

التقرير نصف السنوي للعام 2015 لـ «مشروع رعاية الطفل العامل»، برّءاء العمرانية، حيث يتخذ المركز مقرّ له، يظهر انتقال 9 أطفال إلى المستوى الثاني في برنامج «تعلّم تحرّج»، وتقدّم 3 أطفال إلى امتحان محو الأميّة، بينما انتقل 9 أطفال من فصل محو الأميّة إلى الفصل الموازي لصفهم التعليمي، وحصل 7 على الشهادة الابتدائية منتقلين إلى التعليم الإعدادي، في حين انتقل 4 إلى التعليم الثانوي.

«مركز الطفل العامل ومجتمعه المحلي» يعمل في بلد تتراوح نسبة العاملين فيه بين 1.3 و3.3 مليون طفل، وعلى الرغم من أن قدرته الاستيعابية لا تكفيه من حلّ مشكلة بهذا الكبر، إلا أنّ ما يقدّم من جهد يجعله مثلاً يُحتذى به.

www.ccw-lc.org

## فكرة

## كيف ترى صدراً من تحت عباءة؟

حالات التحرش تستعر في أيام العيد.

جديد هذا العام: فيديو خرج من أحد منتزهات جدّة في السعودية، والذي يَصور حالة تحرش جماعية بفئاتين بعد نزولهما للتجول في ثاني أيام عيد الفطر. ما يظهره الفيديو هو حشد من الشباب والرجال تجمهرها وخلف الفئاتين محاولين حصرهما في دائرة، مسقطين عليها كما من الضابقات اللفظية (لا تسمع كلها بوضوح في الفيديو)، يصرخون ويصفرون، وأحدهم تصرخ بهم، ليعيّلوا صوتهما ويدها معاً لحظة وضع أحدهم يده على مكان ما من جسمها (لم يكن واضحاً أين).

هاشتاغ #تحشرونفئاتين..يجده انطلق بقوة على تويتر. سعوديون وغير سعوديين وزعوا مواقفهم بالاستنكار وطلب التحرك القضائي لحاسبة الفاعلين الذين تظهر وجوههم واضحة في الفيديو. ولكن هؤلاء ليسوا وحدهم. توجهّا إلى المواقع الالكترونية التي نشرت الخبر، رشّح من تعليقات القراء تكون كافية وافية. هنا عينات من موقع CNN بالعربية:

– «شايف العباي واللّمة والتمايل على البنات الجذّاويات قدام الشباب.. ارجح للفيديو تجد البنت الكبيرة مطلعة صدرها وفاقحة العباية من عند الصدر، قبل لا تحكم شُف من تحرش أول الشباب، حتى عند اقتراب الشباب ما غطّت، يعني معتمدة».

– «اللي تعرض نفسها لله لا يرددها.

– «يصوا... يا جماعة، عشان بس تعرفوا قيمة ودور رجال

الهيئة – حماهم الله – اللي اتتو يا نساء السعودية بتحاربوا رجال الهيئة وتهمهم بالتضييق عليهم!!!».

– «تلمون شباب وتسنون أن البنت الكبيرة مطلعة صدرها بالفيديو قدام الشباب، ولم تغطيه حتى بعد اقتراب الشباب، يعني معتمدة الإغراء. ولم أرى احد استهجن فعلها، صدق أصبحتا نجيز المعرنة علني».

أمّا باقي التعليقات فصبّت في المحور السنّي. الشيعي، والمصري . العراقي. السعودي. سنّة أولاد كلب/ ليس الشيعة أفضل، أولاد متعة/ لا يحدث هذا في العراق، فقط بلاد آل سعود/ أنا سعودي، وهذا لا يحدث في الرياض، هذه بدعة واصلتنا من مصر/ هؤلاء ليسوا سعوديين، في الرياض لا يحدث هذا.... هياج التعليقات كان مرعباً ولكن؟ في العودة إلى الفيديو، لا بد من ملاحظة وجود ما يتجاوز عملية تحرش عادية وفق الاعتراف عليه. صحيح أن الأصوات غير واضحة ولا رد النساء حتى، ولكن ما يبدو مؤكداً هو ذاك الانطاف لحشد من الذكور حول امرأتين منقبّتين وعباءات فضفاضة. التقاف في مكان عام، لا شيء يبرره إلا رغبة ذكورية صارخة (وضّاحة) أنه من غير المسوح لامرأة أن تتواجد في فضاء عام، ووحيدة بلا ذكر (محرّم)؟

وهذا ينسحب على كلّ القوانين في السعودية التي تخصّ المرأة الشيء بالشّيء يساويه. ولكن ما كان أكثر بشاعة في الفيديو هو أن أغلبية أبطالها حملوا هواتفهم لتصوير الحدث. يؤثّفون بالصور حتّى تتعلم البقيّة الباقية في البلاد!

#### زينب ترحيني

النازحين، إذ أقعدتهم في البيوت بلا أي مصدر دخل، وأصبحوا فقراء فوق ملايين الفقراء. الإعلام يسلط الضوء على المعارك والأطراف المتصارعة وتطورات الأحداث، وقليلًا ما يركز على الأبعاد الإنسانية، ولا سيما شخصيًا لدعم الأسر في عدن وتغز والضالع ضمن مبادرات واسعة، ثم طبّقنا الفكرة في القرى، خصوصاً من العديد من الأسر نزحت من المدن المنضرة إلى القرية، وهي مناطق بعيدة عن الإعلام والمنظمات. وهكذا تأمل أن تكبر المبادرة وأن ينطلق كل الشباب والشابات وميسورو الحال بالعمل، كل في محيطه، وأن تتسع دائرة التكافل والتضامن والتعاون، بحيث تنتصر مرتين، بالتكافل وتنجيسد المسؤولية الشخصية والاجتماعية».

#### محمد العبيسي

كاتب صحافي من اليمن

«الفقراء الجدد»، التي أعلن عنها عدد من المنطوعين والعاملين في مجال الإغاثة. وهم يقولون إن «هناك الملايين من اليمنيين عصفت بهم الحرب وجعلتهم تحت خط الفقر، وأعادهم في ازدياد مع اتساع رقعة الحرب الجارية، وقد قدرت الأمم المتحدة أن ما يربو عن أربعة ملايين يمني باتوا بحاجة ملحة للمساعدات الإنسانية، علاوة على 16 مليوناً كانوا بحاجة لمساعدات إنسانية نهاية 2014.

إنه انحدار خطير ومؤشر إلى كارثة إنسانية أن يكون أكثر من 80 في المئة من السكان بحاجة لمساعدات إنسانية». ولفتوا إلى أن المساعدات ينبغي أن تستهدف شريحة العمال باليومية الذين تتجاوزهم أعدادهم مليوني عامل. «أنت الأزمة على أولئك الذين يعملون بالآجر اليومى أو ضمن وظائف مؤقتة، أو كعابة متجولين، أو عمال بناء أو

يعيش اليمنيون من دون كهرباء عومية ولا مياه، وتزايد يوماً بعد يوم المعاناة الإنسانية بعد مضي أربعة أشهر على بدء العمليات العسكرية والمواجهات المسلحة، وتزايد حالات النزوح الداخلي، وانعدام الاحتياجات الأساسية لمعظم الناس، بما فيها المواد الغذائية، أو ارتفاع أسعارها في السوق السوداء، الأمر الذي أدى إلى تفاقم الأوضاع المعيشية على نحو كارثي.

منظمة الأمم المتحدة لرعاية الأطفال (يونيسيف) قالت في تقارير سابقة إن «ما يزيد عن نصف السكان بحاجة إلى مساعدات إنسانية تتمثل بالعلاج أو المياه أو الغذاء أو الحماية أو جميعها»، ومع تردى الأوضاع المعيشية، تم إشهار العديد من المبادرات الشبابية والإنسانية بهدف الإغاثة ومساعدة المحتاجين وضحايا الحرب ونازحיהا. أبرزها مبادرة

وحده الموت مزدهر في اليمن في هذه الأيام. ومن نجا من الموت ولم يقتل في إحدى الغارات اليومية المكثفة لطيران تحالف «عاصفة الحزم» على العديد من المدن، وبخاصة العاصمة صنعاء وعمران والحد، وصدده، فقد يَقتل جراء القصف المدفعي الذي تتعرض له، بشكل شبه يومي، مدينتا قفل وعدن، وسط التحالف وجنوبه، من قبل الحوثيين والتحاليف المحلي الذين وثبا على السلطة مطلع العام الجاري. وبين هذا وذاك، وبين الموت الآتي من السماء أو من الأرض، هناك أيضاً يمنيون يموتون من الجوع، أو بسبب إغلاق مراكز غسيل الكلى لانعدام وسائل تشغيل الآلات، أو لعدم قدرة بعض العائلات على ثقل مريض أو ولادة، إلى المستشفى بسبب معارك الشوارع. وقد سجلت منظمات حقوقية العديد من هذه الحالات في مدينتي تعز وعدن خاصة.



4.4 مليون مواطن عراقي بحاجة إلى الغذاء، وفق تقديرات الأمم المتحدة، يعيش 30 في المئة منهم تحت خط الفقر كمعدل عام، وترتفع هذه النسبة في المناطق التي تعاني من موارد محدودة ونقص في الغذاء.

# أهوار العراق: اغتيال الحياة

لا يمر أسبوع من دون أن تتنافس صور الأهوار مع صور القتل اليومي في العراق. تظهر تربتها الواقعة في جنوب العراق متشققة، وتمخر زوارقها الصغيرة عياب اليابسة، وتطفو الأسماك النافقة على الأرض العطشي، وتكاد سماؤها تخلو من الطيور، حتى غدت يابا، تقتل فيها الطبيعة ويهجر سكانها كما يُقتل البشر في مدن عراقية أخرى ويهجرون بفعل «داعش»، التنظيم المتوحش. الأهوار هي المسطحات المائية التي تغطي الأراضي المنخفضة في جنوب العراق وتنتوز على ثلاث محافظات: البصرة وميسان وذي قار، في مثلث تقع مدن العمارة والتاصرية والبصرة على رؤوسه. يعيش سكانها في بيوت من قصب البردي (الجيايش) الذي ينبت هناك حتى يشكل غابات، ويتنقلون بالزوارق الرفيعة الطويلة (الشاحيف)، وهم من فئتين، العشائر والعدان، الأولى زراع والأخرى مربو جواميس. وهي محطة لهجرة الطيور الآتية من أقصى أصقاع الدنيا، ذهابا وإيابا حسب المواسم، وهناك إشارات عليه في الحضارتين السومرية والبابلية. وأما جلبايش، فقد استقل في رحلة بحثه عن الخلود، قاربا من قصب وخاض فيه في مياه الأهوار، وهو نفسه نموذج القارب الذي ما زال يستخدم حتى اليوم في المنطقة.

آخر الأرض

لن تبدو رحلة الرحالة الإيطالي بيτρο ديلا فاله في القرن السادس عشر إلى الأهوار مشابهة لرحلة جلبايش، إذ حملت معها جانبا استشرافيا. استلقى ديلا فاله ليلة واحدة على مقربة من سكان الأهوار وظل بعيدا عنهم خشية أن يتعرضوا له، ورغم شكواه من الحشرات التي تطير في الأجواء، إلا أنه كان مستمتعا بالنظر البهيج للمكان، ونقل في مذكراته أنه أخذ بعض الإختام وقطعا رخامية مكتوب عليها بالسمارية لفظها الماء، نظرة ديلا فاله الاستشرافية التي لم تُعر للسكان اهتماما يُذكر، ستبدو أقل وطأة فيما بعد، إذ صار يتوافد على المنطقة رحلة شتّى في خسينيات القرن المنصرم، فقد حظي كافن يونغ، والذي يعدّ كتابه «العودة إلى الأهوار» أحد المصادر عن تلك الرقعة العراقية، بالترحيب من السكان، وارتبط معهم بعلاقات ودية، الأمر الذي حفّه للعودة مجدداً إلى المسطحات التي سماها «آخر الأرض» في مطالع السبعينيات أيضاً. إلا أنه لاحظ تغيراً طرأ عليها، بسبب سقوط النظام الملكي المشجّع للإقطاع وحلول النظام الجمهوري محله، تمثل بمصادرة سلطة الإقطاعيين على الأراضي التي تزرع بالرز والقمح، وتوزيعها على الفقراء (وُزعت الحكومة أراضي على المزارعين من 3 إلى 8 دونمات لكل عائلة)، وازدياد نسبة السكان بطبيعة الحال، وذهب نحو 150 طفلاً إلى مدرسة افتتحت مؤخراً، وافتتاح مستشفى بالقرب من الأهوار، ومعامل اللورق على حدودها.. إلا أن مظاهر الرفاه، مثل الزوارق المصنوعة بعناية من أخشاب فاخرة اختفت، لأن أحداً لم يعد قادراً على دفع ثمنها، وهذا ما أزعج يونغ. ليس هذا فحسب، إذ أنه كان قلقاً من اختفاء الأهوار تماماً بسبب الحرب العراقية — الإيرانية، ومشاريع السدود التي شرع نظام صدام حسين بإقامتها على نهري الفرات ودجلة وهما اللذان يغذيان الأهوار بالإضافة إلى نهر الكارون ذي المنبع الإيراني. وعلى الرغم من كل ذلك، من القذائف التي طالتها خلال الحرب التي استمرت لثمانية أعوام، ومن بناء سدود جديدة، ومن هجرة الكثير من عائلاتها إلى المدن العراقية، إلا أن الأهوار حافظت على بقائها، رغم تقلص مساحتها.

زنج وشيعة وشيعيون

مُثلت الأهوار ملتحناً للمتقين على مدى قرون، إذ فرّ بعض ثوار الزنج في العصر العباسي من البصرة إلى أهوارها، لامتناع الوصول إليهم بسبب بيئتها الصعبة، فضلاً عن تكتم أهلها على الغريب، الأمر الذي دفع إلى التفكير بتجفيفها آنذاك، لكن الهمة فشلت، وعادت أفكار تجفيفها منذ مطلع القرن العشرين على يد الإنجليز، في تجاهر أو جهل لأهميتها في توازن النظام الإيكولوجي على الأرض كلها، وأهميتها في منظومة مكافحة ملوحة التربة التي بناها السومريون، ثم حمل التاريخ السياسي الحديث للعراق مبررات إضافية لاندفاع الأنظمة الحاكمة إلى الرغبة في القضاء عليها، إذ قررت مجموعة من



منطقة الأهوار سنة ١974 – من مدونة «أرشيف العراق المصور»

الشيوعيين بدء انتفاضة انطلاقاً منها (١968، في زمن عبد الرحمن عارف)، باعتبارها «بؤرة» صالحة للعصيان. وفي 1991، وبعد فشل «الانتفاضة الشعبانية» التي اندلعت إثر هزيمة الجيش العراقي على يد التحالف الدولي بعد حرب «تحرير الكويت»، (بدلت في الجنوب وفي صفوف الجيش المتراجع إلى البصرة ثم طالت 15 من أصل 18 محافظة في العراق. وقد سمحت قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة لصدام حسين ببقعهما بقسوة مرعبة؛ 300 ألف ضحية على ما يُقال)، بدأت المارضة الإسلامية الشيعية العراقية التي استولتت قياداتها في إيران، عملياتها ضد النظام من الأهوار، الأمر الذي سرّع في مشاريع تجفيفها.



هور الناصرية – نقل القصب والمواد الأخرى بالشاحيف

 (تصوير : محمد سؤاف)

الحليب والألبان واللحوم بالإضافة إلى القصب الذي ينمو بشكل طبيعي في مياه الأهوار. وبالرغم من كل هذه المسي، فإن سياسة البعث القمعية لاحقت سكان الأهوار إلى أماكن نزوحهم. حينها، استست السلطة الخارجة توأً من انتكسارات حرب الخليج، نمطاً جديداً لتصنيف العراقيين، وكانوا هم أول ضحاياها، عبر بث مسلسلات ومسرحيات تشير إلى أنهم متخلفون، وبكّلاء ومفروقون.. وهكذا تحولت جملة «قادم من الهور»، كمرادف للتخلف، أما «المعيدي» فهو الشخص الأخرق، الذي لا يجب أن يعار له بال، بل يكون موضعاً للسخرية والتحقير.

سقوطه التاريخ وانحسار الجغرافية

مثلت الأهوار إحدى أكبر السرديات عن القمع، لدى الأحزاب المعارضة لصدام حسين، وتحقير السلطة الديكتاتورية للإنسان والطبيعة في آن واحد، وكان من النادر أن يمر حوار لإحدى شخصيات المعارضة من دون أن يُذكر بمأساة أهالي الهور. وهذا ما فرض، بعد سقوط نظام صدام حسين في نيسان/ ابريل 2003، أن ينتبه إلى الأهوار مجدداً، بغاية أن تُعاد الحياة إليها بعدما أعدمتها «السلطة الجائرة». وقد تمّ جزء من ذلك بالفعل، ولكن كيف؟

أتاحت الحكومات المتعاقبة منذ 2003 إعادة الحياة إلى الأهوار بوزارات عدة، وانشأت أيضاً وزارة الدولة لشؤون الأهوار، ومركز «إعادة إحياء الأهوار العراقية»، وبهذا الحجم من المؤسسات، ويشرف الأمم المتحدة، أعيد نحو 38 في المئة من مساحة الأهوار حتى العام 2008، إلا أن ما شخصته الأمم المتحدة هو الفوضى وتضارب العلاقة والصلاحيات بين كل هذه المؤسسات، ناهيك عن غياب استراتيجية واضحة، وقاعدة بيانات محدّدة تخص الأهوار لإعادتها إلى الوضع الذي كانت عليه في السبعينيات. وهكذا، لم يدم الإنجاز التحقق طويلاً. ففي العام 2009، قال ديفيد شيرر، نائب الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في العراق، إن «سكان الأهوار هم من أفقر الناس وأقلهم استفادة من الخدمات الأساسية»، وما شخصه شيرر يقف خلفه سيبان رئيسيان، لكنهما يصبان أيضاً عند فشل الحكومة العراقية في إدارة شؤون البلاد، الأول هو خارجي، إذ بنت تركيا 22 سدّاً و19 محطة كهربائية على نهر الفرات (بدأت هذه بمشروع الغالب العام 1983)، الأمر الذي قلّل من منسوب مياه النهر داخل العراق. بدورها، قامت سوريا ببناء 5 سدود، وإيران بإنشاء سدود على نهر الكارون.. وكل هذا يجري من دون أن يكون للعراق حتى الآن اتفاقية مائية مع هذه الدول، تحفظ حقوق العراق المائية وفقاً لاتفاقات الدولة، الأمر الذي دفع بكل من تركيا وسورية إلى التجاوز على حصّة العراق المائية.

أما السبب الثاني، فهو الفساد. إذ تخصص الحكومة العراقية منذ العام 2006 وحتى اليوم 50 مليون دولار لمشاريع إعادة إحياء الأهوار، إلا أن كل ذلك يذهب هباء، حيث انخفضت أعداد الجواميس في الأهوار من 80 ألف رأس إلى 5 آلاف فقط، ولا تصل الخدمات الصحية إلى نحو 91 في المئة من قراه، وتتخلص الحكومات المحلية في البصرة وذي قار وميسان والنجف من مياه الصرف الصحي في مياه الأهوار، وهناك نوعاً من الأسماك والحشرات والطيور النادرة مهدّدة بالانقراض، وهناك أيضاً أنواع من النباتات النادرة مهدّدة، إذ أنه لا وجود لإحصائية بشأنها.

ويطال سوء التغذية في الأهوار نحو 31 في المئة من السكان، ونحو 34 في المئة من نساء الأهوار أميات، وتبدو نسبة الالتحاق بالمدارس قليلة إذ تقدّر بنحو 30 في المئة، وهناك 798 موقعاً أثريا في الأهوار يعود إلى الحضارات السومرية والبابلية والأكادية، لم يتمّ التنقيب فيها حتى الآن. ووفقاً للأمم المتحدة، فإنه من الممكن أن تختفي تقاليد سكان الأهوار بعد جيل واحد من الآن، إذ اقتصر الاحتفاظ بها وممارستها على 7 قرى من أصل نحو 267 قرية.. وإذا كان هذا هو وضع السكان، فإنه بالتأكيد لن تكون الأهوار «قبة السباح»، كما تروج الدعايات الرسمية.. ولن تدخل قائمة التراث العالمي لليونسكو، طالما أنها تعيش في هذا البؤس بل والتدهيد بالحو من على وجه البسيطة.

### عمر الجفّال

كاتب صحافي من العراق

يقابله عجز عن تسديد القروض العقارية التي تنبئ بأزمة تهدد القطاع البنكي، وخاصة بنك الاسكان الذي تجاوزت نسبة قروضه الموجهة للهنوض العقاري الأربعين بالمئة من مجمل معاملاته البنكية.

الغموض الذي يكتنف هذا القطاع يجري وسط تكتم سلطات الإشراف في ظل ارتفاع عدد المستثمرين العقاريين الذي بلغ 2800 مستثمر عقاري، وفي ظل تنامي عمليات البناء الفوضوية التي تقدر بـ29 ألف مسكن كل سنة، والتي ضربت عرض الحائط بالتقسيمات العقارية التي أوجدتها الدولة من أجل تسهيل النفاذ للسكن الاجتماعي.

.. والتخطيط العمراني

لم يكن الاقتصاد هو العنوان الوحيد لأزمة السكن المطروحة للنقاش في تونس، فهيكلة المجال الحضري والتخطيط العمراني في ظل التحولات التي تشهدها البلاد همم، خاصة في ظل منوال تنموي يقوم على إنعاش اقتصاد المحافظات الداخلية عبر بناء مناطق صناعية جديدة قادرة على استيعاب جيوش العاطلين عن العمل. كان إعطاء الأولوية القصوى للمشاريع الاقتصادية دون الرجوع الى مخططات التهيئة العمرانية

خلال شهر آذار/ مارس المنقضي، في إطار حديثه عن المئة يوم الأولى من عمل الحكومة الجديدة، الى أنه لا يمكن الاستجابة إلا الى 12 ألف طلب سكن اجتماعي من مجموع 30 ألفا. ارتفعت اسعار الإيجارات بأكثر من ثلاثين بالمئة منذ أربع سنوات، وتقدم لهذه الظاهرة مبررات عدة، منها ارتفاع عدد الطلاب بالجامعات، وخصوصاً استقرار أكثر من مليون مواطن ليبي على الأراضي التونسية في مدينتي صفاقس وتونس العاصمة، حيث تكاثر «السماسرة»، أي الوسطاء.. وتنوعت الخدمات، فهناك نوعان، الأول هو الإيجار بالليلة والتي تصل أحيانا الى ثمانين دينارا لليلة الواحدة خاصة في الأحياء الفخمة والأمنه من العاصمة كأحياء الحداثق والمزارت والمنازه، والضواحي حولها كحلقي الوادي والمرسى وسيدي بوسعيد، والثاني، الشهري يتراوح بين الثمانمئة والألف وخمسمئة دينار في الأماكن نفسها، وذلك لنمازل لا تتعدى غرفتين ومطبخا. انعكس ذلك الوضع غير الخاضع لقوانين تهيكله على الطلاب الذين أصبحوا غير قادرين على الاستئجار. يظهر ذلك في تونس العاصمة أساسا التي استقبلت في السنة الماضية 49510 طالب بنسبة إيواء عمومي (جامعي) ضئيلة لم تتجاوز 16.6 في المئة، وذلك على الرغم من وجود المبينات الجامعية العمومية. إلا أن وزارة التعليم

<sup>[1]</sup> 4.4 مليون مواطن عراقي بحاجة إلى الغذاء، وفق تقديرات الأمم المتحدة، يعيش 30 في المئة منهم تحت خط الفقر كمعدل عام، وترتفع هذه النسبة في المناطق التي تعاني من موارد محدودة ونقص في الغذاء

<sup>[2]</sup> 4.4 مليون مواطن عراقي بحاجة إلى الغذاء، وفق تقديرات الأمم المتحدة، يعيش 30 في المئة منهم تحت خط الفقر كمعدل عام، وترتفع هذه النسبة في المناطق التي تعاني من موارد محدودة ونقص في الغذاء



## متابعات

## 3.1 مليون قتيل مدني

## حصيلة «الحرب العالمية على الإرهاب»

كشفت تقرير نشرته مجموعة من الأطباء الحائزين جائزة نوبل للسلام أن مليون عراقي و220 ألف أفغاني و80 ألف باكستاني من المدنيين، قتلوا في المعركة التي يقودها الغرب تحت شعار مكافحة «الإرهاب».
«اعتقد أن الوعي الذي أوجده مقتل المدنيين يعد من بين الأعداء الأكثر خطورة الذين نواجههم». هذا ما أعلنه الجنرال الأميركي ستانلي ماكريستال في شهر حزيران/ يونيو العام 2009، في خطاب تنصيبه كقائد للقوة الدولية للمساعدة على إرساء الأمن (إيساف).
أبرز هذه العبارة التقرير الذي نشرته حديثاً «جمعية الأطباء الدولية لمنع الحروب النووية»، الحائزة جائزة نوبل للسلام في العام 1985، لإظهار أهمية العمل المنجز من فريق العلماء وتأثيره المتوقع في تقليص عدد الضحايا المدنيين الذين يسقطون جراء «الحرب على الإرهاب» في العراق وأفغانستان وباكستان.

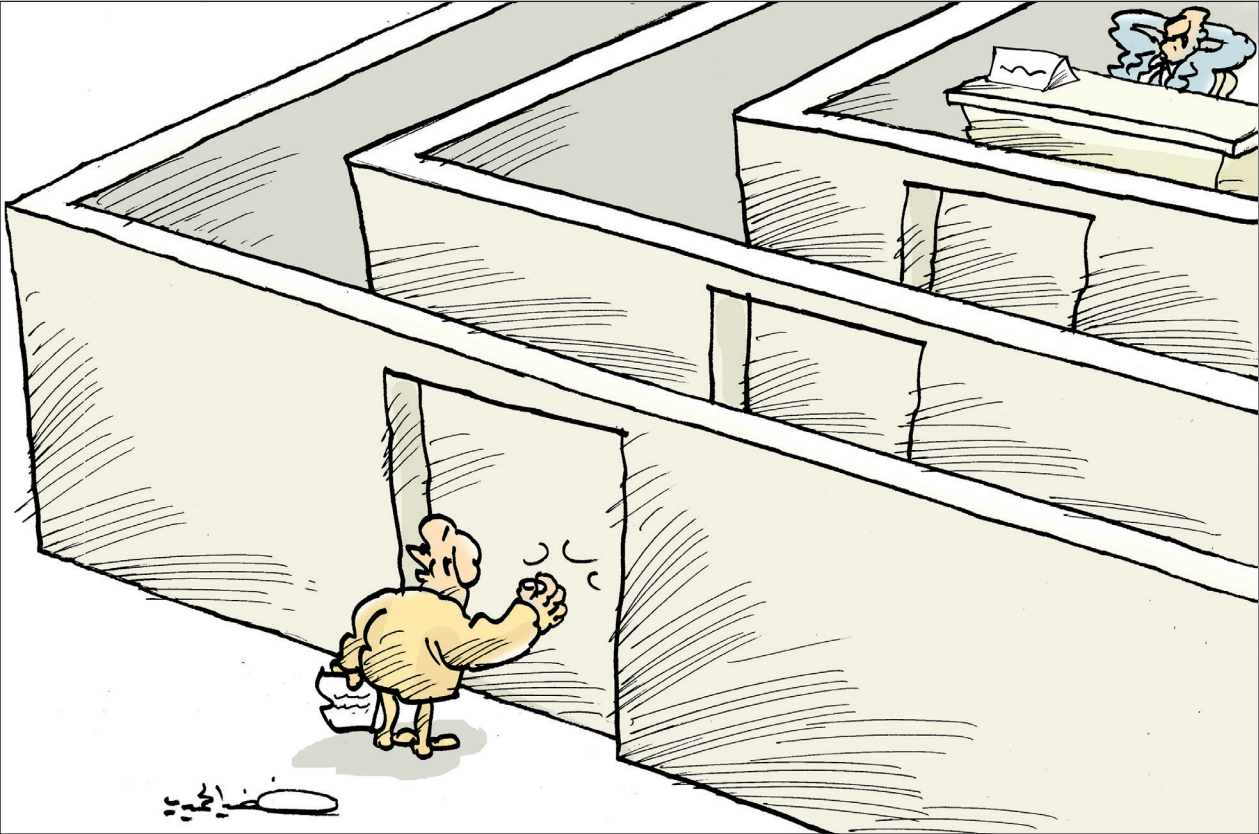
«الحقائق عنيده»

لتبسيط الضوء على هذا الواقع، وإزاء تجاهل عالمي في وسائل الإعلام الفرنكوفونية، كتب المنسق العام السابق للأمم المتحدة في العراق هانز فون سبونك قائلاً «لجأت القوات المتعددة الجنسيات في العراق، وإيساف في أفغانستان، إلى حساب خسائرها بشكل منهجي (...) أما تلك المتعلقة بالأعداء والمدنيين، فعلى العكس، جرى تجاهلها رسمياً. وهذا بطبيعة الحال لا يحلل في طبياته أية مفاجأة. إذ نتحدث هنا عن إغفال متعمد للحقائق».
في المقابل، أسهم توثيق هذه الوفيات في «تدمير الذرائع التي بُنيت على أساسها عملية تحرير العراق من الديكتاتورية بالقوة العسكرية، ومطاردة القاعدة في أفغانستان، والقضاء على مخائب الإرهابيين في المناطق القبلية في باكستان، وعلى رأسها الحؤول دون وصول الإرهاب إلى الأراضي الأميركية وتحسين الأمن العالمي والسماع لحقوق الإنسان بالتقدم. كل الذرائع التي تقدمت بدت بكلاف مبررة».

ولكن «الحقائق عنيده»، يتابع فون سبونك، ف «الحكومات والمجتمع المدني يدركون أن هذه الذرائع خاطئة إلى درجة السخافة. المارك العسكرية التي خيضت في العراق وأفغانستان نجحت ولكن بكلاف ضخمة، تركت أثرها على سلامة الإنسان والنقعة بين الأمم».

وبالتأكيد، تقع المسؤولية عن قتل المدنيين، بالتوازٍ، على عاتق «فرق الموت» و «الطائفية» التي حصلت بذور الحرب الشيعية - السنية الحالية،

### .. بألف كلمة



خضير الحميري

### .. حلم



نور الرفاعي / مصر

الختم إلى ما كشفه المقرر الخاص للأمم المتحدة بين عامي 2004 و2010 بشأن الإعدامات العرفية أو العشوائية أو من دون محاكمة: في تشرين الأول/ أكتوبر 2009، كتب فيليب ألتون أن التحقيقات بشأن ضربات الطائرات من دون طيار كانت شبه مستحيلة في ظل غياب تام للشفافية ورفض السلطات الأميركية التعاون في هذا الشأن. وأضاف، بعد تأكيده على عدم شرعية مثل هذه الأختلالات الموجهة بموجب القانون الدولي، بأن «موقف الولايات المتحدة لم يكن مقبولاً (أو محمولاً)». لكن للمفارقة أنه بعد ثلاثة أسابيع، تلقى الرئيس الأميركي باراك أوباما جائزة نوبل للسلام.

يحدث الآن في العراق

وأفغانستان وباكستان

في 20 نيسان/ أبريل الماضي، أعلن بيان لـ «التحالف الدولي لمكافحة الإرهاب» بقيادة الولايات المتحدة، عن تنفيذة 36 غارة جوية خلال 24 ساعة على مواقع «الدولة الإسلامية»، بينها 13 غارة في محافظة الأنبار، غربي بغداد. فما هو حجم «الأضرار الجانيبة»، المدنية في هذه المنطقة، الأكثر تضرراً من العنف منذ بدء الغزو العراقي في العام 2003؟ تلتزم البيانات الرسمية العسكرية الصمت تجاه سؤال مماثل، في حين أن أكثر من 3200 «ضربة» جوية، بحسب «اللفة الجديدة» بشأن الحروب (إشارة إلى ما قاله جورج أورويل في كتابه «1984» عن اعتماد مصطلحات حربية تحد من قدرة الناس على التفكير)، نفذت منذ شهر آب/ أغسطس العام 2014 بعد سيطرة «الدولة الإسلامية» على الموصل. في 18 نيسان/ أبريل، أوقع هجوم انتحاري، (وهي تقنية استخدمت في المعارك الغامضة في أفغانستان قبل 11 أيلول/ سبتمبر العام 2001)، 33 قتيلاً بالقرب من الحدود الباكستانية. وفي نهاية شهر آذار/ مارس، أعلنت مصادر أمنية باكستانية مقتل 13 «جهادياً» يرتبطون بتنظيم «القاعدة» في غارة جوية نفذتها طائرة من دون طيار أميركية.

ولا يزال حوالي 10 آلاف جندي أميركي يتمركزون في أفغانستان حتى اليوم.

مارك دو ميرامون

صحيفة الأومانتية الفرنسية

ترجمة: هيفاء زعيتر

arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السمفير العربي»

- في السعودية حرب ظاهرة وحروب مستترة - جمال محمد تقي

- ضالة النجاح في الثأوية العامة بموريتانيا - المختار ولد محمد

- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi

- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir



رسم: خضير الحميري - العراق (خاص «السفير العربي»)

#### حدوته ربع ساعة في العيد

نزلت من البيت وركبت الميكروباص الي بيروح التحرير من ادم بيتنا... قاعدة جنب السواق لوحدي حاطه السماعات في ودني والحياه حوله، وفجأه لقيت سواق الميكروباص يقول بصوت عالي: اقللي الشباك اللي جنبك يا أنسة. يا كل الحريم اللي في العربية اللي قاعدة جنب الشباك تقفله! شلت السماعات من ودني وسألته خير يا اسملى، هو فيه حاجه هنا؟ قالي هتشوفي دلوقتي . عند جنينة الحرية اللي قدام الباب الرئيسي للاوبرا، بدأت الهزلة. الرصيف كله شباب زحمة لدرجه انهم ماشيين وسط العربيات، بيرشوا ميه عالعربيات ويبشدوا البنات اللي في العربيات من شعرهم الحمد لله عدينا مرحلة الخطر ووصلت عبد المنعم رياض. حطيت السماعة في ودني وعديت الشارع وانا بقول لنفسي مش هاسمع اللي هيقول كلام سافل لكن اللي هيمد ايده هافشخه! وصلت لناصية محمود بسيوني لقيت بنت متزيدش عن 14 – 15 سنة وفي ايدها بنت اصغر يمكن 8 سنين، واقفه بترق واحد برضه ميزيدش عن 16 سنة وشويه صيبان عرر من نفس السن يبشدهوا من ايدها، ويجسسوا علي ضرهها وهم بيستعبطوا وبيقولولها خلاص بقى أهو عرف غلطته! دخلت في وسعطم وحطيت ايدي على كتفها وشدتتها جوه ناصية شارع جانبي وانا بقولهم اللي هيجي جنبها هاجيس دين امه، نصهم جري والنص الثاني فقد يضحك. مشيت جنبى ولقيتها بتقولي شكرا يا أنسة. ده ماشي ورايا بقاله كثير، وعمال يقولي انتي عامله شعرك فين. وانا مبردش. راح شاددني من شعري. قولتلها عارفه شكله؟ تعالي شاوولي عليه وناخده نعمله محضر. لقيت نظاره غريبة في عينيها مقدرتش افسرها غير لا نطقت وقالتلي: قسم ايه يا استاذة، لا مش لدرجه قسم... إحنا مش ولاد ناس اوي كده. بغض النظر عن #التحرش وقلة الأدب والمواقف الخ... اللي اتعودنا عليها تخيل انت ان فيه بنت عندنا 15 سنة عارفة وفاهمة ومؤمنة ان الحكومة متجيشش غير حقوق «ولاد الناس» ويرضه بيقى عندها نفس القدر من المعرفة والفهم والإيمان انها مش بنت ناس عشان حد يجيبها حقها. حد يا جماعة متخيل القهر #عملار يا مصر

من صفحة Rasha Sultan على فايسبوك

من صفحة abdelrahman Mansour على فايسبوك